

بالتأمل الشخصى الذى مرن عليه بفضل تعمقه لدراسات البلاغة وأصول الفقه وتفسير القرآن ، وهى آفاق متداخلة يغذو بعضها بعضا . وكان إلى جانب ذلك قد قرأ طائفة صالحة من أبحاث المستشرقين الأوائل فى اللغة ومذاهب التفسير المسيحى والفقه والأصول إلى جانب أبحاث أخرى فى البلاغة وفن القول وبعض الدراسات الأسلوبية .

ونتيجة لهذا كله بدا لأستاذى أمين أن عليه واجبا ثقيلا فانقل من التاريخ إلى العرض المذهبى لبعض المسائل الكبرى ، فتحدث عن العلاقة بين البلاغة وعلم النفس فى مقال له نشر بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة منذ أكثر من خمسين عاما . ودار بحثه هذا حول التماس العون على تحليل اللغة من مصادر الدراسات النفسية التى تدرس الخبرة دراسة منظمة ، وكان يدعو إلى علم نفس أدبى لا يذوب فيه درس الأدب ، ولكنه يوصى إلى الواجب الذى تمثله ، وأعنى به تجديد الدرس الأدبى تجديدا يخرج منه طرق المنطق النظرى ، ودراسة الاستجابات المختلفة ، ومحاولة تصنيفها وقياسها بطريقة تساعد المعلم والمتعلم على التعرف على حقيقة موقفه الشخصى من النص الذى يقرؤه .

ولا أريد أن أطيل عليك ، حسبى أن أذكر أنه استطاع بحذق كبير أن يجعل من درس البلاغة والتفسير والأدب شيئا واحدا تختلف مظاهره بعض الاختلاف ، ولكنه واحد متجانس فى جوهره . وقد أعان كثيرا من طلابه على أن يأخذوا فى موضوع شرح النصوص فى هدى ما سمعوا وما قرءوا من نظريات . وبذلك كان أمين الخولى أحد الرواد الذين شغلهم هذا الجانب الإحيائى الخطير ، وكان يرى أن إعادة شرح نصوص معينة تعبر عن أهداف حيوية حديثة ، وتعبر عن مقدار تمثلنا لمبادئ الدلالات والأنساق والصور . ومن ثم عكف على أن يعيد النظر فى شعر كثير ، وكان دائم الرجوع إلى النموذج القرآنى الأعلى ليبين لنا أن فقه القرآن الكريم للبلاغة ومساائلها مختلف عن فقه الشعراء ، وأن الاشتغال بالنص القرآنى يفسح المجال أمام نظريات أكثر نضجا . ومازلت أذكر قوله فى قاعة الدرس إن البلاء وقعوا فريسة نماذج من الشعر تقوم على طلاء المعانى ، كان يقول إن النماذج المتعارفة تقوم على فلسفة الطلاء والتزيين على حين يدلنا النص القرآنى على فلسفة أخرى هى فلسفة تكوين المعنى وإيجاده من طريق لا يمكن الوصول إليه إذا جعلنا منتهى همنا نماذج الشعر المستعملة فى كتب البلاغة . وكان رحمه الله يرى أن فلسفة الصور أو الاستعارة فلسفة محتاجة إلى إعادة النظر ، كان يقول إن الاستعارة لا تقوم على نقل الكلمة من معنى إلى ثان